



كيف يفكر ترامب؟

د. ديفيد دي روش*

أستاذ مشارك، مركز الشرق الأدنى
وجنوب آسيا للدراسات الاستراتيجية،
جامعة الدفاع الوطني - واشنطن

مجلس الشيوخ مع فقدان مقاعد أقل مما كان متوقفاً في مجلس النواب، ويقف الآن على أعتاب مرحلة غير مسبوقة من هيمنة الجمهوريين على واشنطن.

ويمكن القول إن ترامب قد أعاد كتابة قواعد الحملات السياسية في الولايات المتحدة، إذ إنه نجح من دون عناء من الفضائح التي كانت ستبدد آمال المرشحين السابقين، فهو لم يتحد الرأي السائد فحسب، بل أعاد صياغته. ومثلما غيرت شركة "أمازون" قواعد مبيعات التجزئة، نجح ترامب في جذب الناخبين إليه مباشرة من دون البنية الحزبية التي تطورت على مر الجيلين السابقين.

إن، كيف سيحكم ترامب؟ الإجابة الموجزة هي أن أحداً لا يعرف بالتأكيد، ولا حتى الرئيس المنتخب نفسه. لكن متطلبات الرئاسة كثيرة، والإدارة أكثر تقييداً من الحملات الانتخابية. ومع ذلك، هناك بعض المؤشرات التي يمكن التنبؤ بها حول الكيفية التي سيكون عليها حكم الرئيس ترامب بصفة عامة، وكيف سيتعامل مع منطقة الشرق الأوسط. هذه قواعد عامة ينبغي أن تساعد المرشحين

فوضوي وعبارة عن هرج ومرج. وبدت عملية اتخاذ القرار مبهمه، والاختيارات عشوائية، وهمس العديد من الجمهوريين أن حزبهم يسير نحو كارثة محققة بقيادة شخص غير مهذب ومبتذل خدع قاعدة الحزب الجمهوري. وهكذا، لم يتوقع استطلاع رأي وطني ذو مصداقية (أو موقع للرهان السياسي) فوز ترامب في الانتخابات.

وجاءت نتائج الانتخابات بمنزلة مفاجأة كبرى ومغايرة للرأي السائد تماماً. فلقد أثبت ترامب أنه المرشح التحولي الذي نجح في تجاوز الأساليب التقليدية (والمكلفة) للتنظيم السياسي، مثل الحضور القوي على الأرض في أماكن الاقتراع في كل ولاية وعلى مستوى الدولة. جذب ترامب ناخبيه وقاعدته مباشرة عبر وسائل التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام، وعلى الرغم من أن النخب كانت ترى أن تغريداته المتكررة غير منضبطة، فإنها وصلت إلى الناخبين. وفاز ترامب في ولايات لم تصوت للحزب الجمهوري منذ أجيال، واحتفظ بسيطرة الحزب الجمهوري على

لقد شكّل فوز دونالد ترامب، المرشح الذي لا مثيل له في التاريخ الحديث، صدمة للأمريكيين، وللمراقبين الأجانب الذين يهتمون بالسياسية الأمريكية.

ظل الرأي السائد لدى قطاع عريض من المتابعين، والذي استند إلى العديد من استطلاعات الرأي العام، يعتقد في فوز هيلاري كلينتون، وأنها سوف تعزز مكانتها السياسية كأول رئيسة للولايات المتحدة الأمريكية. ولو كان هذا الأمر تحقق لأصبحت أسرة كلينتون سلالة أمريكية حاكمة، قادرة على تسخير قوة التكنولوجيا الجديدة لتحويل الناخبين من المجموعات العرقية المتنامية - لاسيما المنحدرين من أصل إسباني - وربما حتى تستخدم قوة ماكينتها السياسية لإعادة سيطرة حزبها على مجلس الشيوخ.

على الجانب الآخر، ظهرت حملة ترامب وكأنها في حالة من الفوضى. ووصف محللو الحملات التقليدية والخبراء الاستشاريون، واستطلاعات الرأي من كلا الحزبين التنظيم بأنه

* الآراء الواردة في المقال تعبر عن الكاتب ولا تعكس وجهات نظر وزارة الدفاع، أو جامعة الدفاع الوطني أو أي وكالة تابعة لحكومة الولايات المتحدة.

على تفسير، وربما التنبؤ، بتصرفات أكثر السياسيين غير التقليديين.

أولاً: رجل أعمال وليس دبلوماسياً

القاعدة الأساسية الأولى أنه ينبغي أخذ خلفية ترامب كرجل أعمال في الحسبان. الدبلوماسيون والسياسيون يعملون في عالم يعتبر فيه كلامهم بمنزلة مقترحات سياسية وله تداعيات سياسية. ويتعين عليهم اختيار كلماتهم بعناية والتحدث بنغمات محسوبة حتى لا يُساء تفسير مثل هذه المقترحات، وهذا ليس عالم دونالد ترامب.

خلفية ترامب هي في مجال الأعمال التجارية، وفي هذا العالم كل مناقشة قبل التوقيع على العقد (وأحياناً حتى بعد ذلك) تهدف إلى إحداث تأثير تكتيكي وليس لها أي وزن سياسي. وهكذا، فإن عدم الاتساق، والتحريف، والخداع، وتقديم مقترحات غير نهائية، تدخل جميعها ضمن الممارسات التجارية المعروفة، ولا تشكل أي منها أهمية ما لم ينص عليها العقد النهائي. وعادة ما تصدر تصريحات استغرابية لقياس رد فعل الطرف الآخر. ويعتبر التهديد والوعيد والانفعال أدوات تكتيكية، وليست انحرافات عن السياسات والدبلوماسية. لذا، من يأخذ ما يقوله هذا الرجل بشكل حرفي يرتكب خطأ كبيراً.

وهناك عبارة مجازية بدأت تنتشر في الولايات المتحدة، وهي أن أتباع ترامب يأخذون كلامه بجديته، ولكن ليس حرفياً، في حين أن منتقديه ومعارضيه يأخذون كلامه حرفياً، ولكن ليس بجديته. وهناك شيء من الحقيقة في هذا، فخلال حملته الانتخابية، قال ترامب كلاماً وفعل أشياء من المفترض أن تعصف بمستقبل أي مرشح تقليدي، فلقد أظهر ترامب قدرة رائعة على التخلي عن التصريحات التي تثبت أنها غير مناسبة بشكل يثير في الغالب استغراب خصومه، فضلاً عن مؤيديه. وفي حين أن هذه المرونة تحير الساسة والدبلوماسيين وتستغفهم، فإن هذا أمر طبيعي وعادي بالنسبة لرجل أعمال.

ترامب لن يكون رئيساً تقليدياً، ولكن من المتوقع أن يهمل (في أحسن الأحوال) ويزدري (في أسوأ الأحوال)

التقاليد والأعراف الخاصة بالسياسية والدبلوماسية، وهذا يقودنا إلى القاعدة الأساسية الثانية.

ثانياً: أزدراء التقاليد السياسية

من الواضح أن ترامب ليس عضواً في المؤسسة السياسية الأمريكية، وهذه من الأمور التي تروق لناخبيه. ولهذه الحقيقة تداعيات على السياسات أكثر من مجرد تداعياتها على الحملة الانتخابية، ولعل أهمها أن ترامب لا يدين بالولاء أو الإذعان للتقاليد السياسية التي تتبعها واشنطن.

هناك عدد من التقاليد المتعلقة بالسياسات التي تتبناها الولايات المتحدة وأيدها جميع الرؤساء في الفترة الأخيرة وتشمل الالتزام بالتجارة الحرة العالمية، والاعتماد على الحلفاء والتحالفات في الشؤون الأمنية، والتزام عام بالنهوض بحقوق الإنسان في جميع أنحاء العالم.

إذن، كيف سيحكم ترامب؟ الإجابة الموجزة هي أن أهدأ لا يعرف بالتأكيد، ولا حتى الرئيس المنتخب نفسه. لكن متطلبات الرئاسة كثيرة، والإدارة أكثر تعقيداً من الحملات الانتخابية.

وكون ترامب لا يمثل جزءاً من التقاليد السياسي الأمريكي، يجعله غير ملزم بالتقيد بهذه العقيدة. وفي الواقع، عارض ترامب أجزاء من هذه التقاليد التي يشعر أنها لا تصب في صالح المواطن الأمريكي العادي، كما أثار شكوكاً حول التزام الولايات المتحدة بحلف شمال الأطلسي، وعلى الرغم من أن هذا الأمر لم يسبق له مثيل، فإنه ربما يكون من الأفضل النظر إليه كتكتيك تفاوضي لتحفيز الدول الأوروبية لدفع نصيبها من تكاليف الدفاع.

يأتي ترامب إلى منصبه ببرنامج معارض للحكومة الأمريكية، التي ذكر أنها انصرفت بفعل البيروقراطية والإدارات السابقة إلى تعزيز مصالحها الخاصة، بدلاً من مصالح الدولة، ويرى أن الحل هو "تجفيف المستنقع"، فهو يستبعد قدرة الحكومة على كشف الإرهابيين المحتملين في صفوف اللاجئين، ومنع المجرمين من دخول

البلاد بصورة غير شرعية من المكسيك، أو إدارة البرامج التنموية بكفاءة.

ثالثاً: توجهاته حيال الشرق الأوسط

لم يتبن ترامب في حملته الانتخابية برنامجاً للسياسة الخارجية، وفي الواقع، اعتبرت هذه نقطة قوة لهيلاري كلينتون. وبما أن الشأن المحلي يغلب على برنامجه فيجدد بالمرقبين في الشرق الأوسط رؤية سياسته الخارجية من وجهة النظر المحلية.

وهناك ثلاثة محاذير ينبغي أن توضع في الاعتبار مع الإدارة الجديدة. التحذير الأول هو عدم الإفراط في التدقيق في خطاب حملته الانتخابية أو الكتابات السابقة لكبار مستشاريه، فالماضي ليس دائماً مقدماً لما سيأتي، خاصة مع هذه الحملة، وهذا المرشح.

الأمر الثاني أنه ينبغي أخذ المصالح الأمريكية المحلية في الاعتبار عند النظر في أي مقترح يتعلق بالسياسة الخارجية. فتصريح ترامب بأنه يجب على الحلفاء زيادة المساهمة في الدفاع عن أنفسهم ليس مقترحاً راديكالياً، بل الإشارة إلى أنه سينسحب من الترتيبات الأمنية القائمة منذ فترة طويلة هي التي تمثل مقترحاً راديكالياً. وجهة النظر هذه راجحة فعلاً، فمعظم الأمريكيين لا يدركون المساهمات التي يقدمها شركاؤهم في مجال الدفاع للحفاظ على الوجود الأمريكي في الخارج.

الأمر الثالث هو بينما يشعر الأمريكيون والعديد من أنصار ترامب بأن الولايات المتحدة تقوم بمهام أكثر مما ينبغي في الخارج، فإنهم وبشكل يثير المفارقة يريدون أن تكون دولتهم قوية في الخارج وتتصدى للأعداء مثل "داعش" وإيران. ومن ثم فمن المتوقع أن يبتعد ترامب عن النهج التصالحي الذي يتبناه أوباما تجاه إيران، وأن يُصعد (بشكل رمزي على الأقل) القتال ضد "داعش".

ومهما يحدث، فإن الظروف مواتية لرئاسة مغايرة عن أي من سابقتها التي خبرناها في حياتنا.

نصيحة: "اربطوا أحزمة الأمان لأن الرحلة ستكون مليئة بالمطبات".